International Journal of Arabic Language and Literature Studies
المجلة الدولية لدراسات اللغة العربية وادابها
ISSN: 2707-7659
DOI: 10.32996/ijalls
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/ijalls

تحولات الدلالة في اللغة العربية ومظاهرها: دراسة في التطور والآليات

محمد طاهر نسيم -الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربي – كلية الآداب – بجامعة التربية والتعليم كابول

تاريخ استلام البحث: 2025/06/10 **تاريخ نشر البحث: 2025/09/20** **المجلد: 7** **العدد: 1**

الملخص:
يُحلل البحث ظاهرة التغير الدلالي في اللغة العربية، مُسلّطًا الضوء على أن الكلمات ليست ثابتة المعنى، بل تتغير دلالاتها بمرور الزمن. يُقسم البحث مظاهر هذا التطور إلى ثلاثة أنواع رئيسة: تخصيص الدلالة، تعميم الدلالة، وانتقال الدلالة .تخصيص الدلالة: يحدث عندما تتقلص دلالة اللفظ من معنى عام إلى معنى خاص، مثل كلمة "البهائم" التي كانت تُطلق على جميع الحيوانات ثم خُصّصت للبقر، أو كلمة "الصلاة" التي تحوّلت دلالتها من "الدعاء" إلى الشعيرة الدينية المعروفة بعد مجيء الإسلام .تعميم الدلالة: هو العكس، حيث تتسع دلالة اللفظ من معنى خاص إلى معنى عام، ككلمة "الورد" التي أصبحت تُطلق على كل زهر بعد أن كانت تُطلق على نوع محدد. ويُشير المقال إلى أن هذه الظاهرة غالبًا ما تحدث بسبب المجاز والتشبيه .انتقال الدلالة: يشمل نقل الكلمة من مجالها الأصلي إلى مجال آخر، إما لعلاقة المشابهة (الاستعارة)، مثل استخدام كلمة "عين" للإشارة إلى ثقب الإبرة، أو لعلاقات أخرى (المجاز المرسل)، مثل استخدام كلمة "الشتاء" للدلالة على المطر الذي ينزل فيه .يُبرز البحث أن اللغويين العرب القدامى كانوا على وعي تام بهذه الظواهر، وأنهم ربطوها بعوامل اجتماعية وثقافية ودينية، ما يؤكد أن التطور الدلالي ليس ظاهرة حديثة، بل هو جزء أصيل من طبيعة اللغة العربية ومرونتها. واستفاد الباحث عن المنهج الوصفي التحليلي في إعداد هذا البحث.
الكلمات المفتاحية: تحولات، اللغة، الدلالة، مظاهر، التطور، الآليات.

The Effect of Metaphor in Highlighting Meanings and Intensifying Significance

Mohammad Tahir Nasim, Faculty of Education, Department of Arabic Language and Literature Kabul Education University-Afghanistan

Corresponding Author: Mohammad Tahir Nasim, **E-mail**: sabkhaf@gmail.com

RECIEVED: 25 July 2025 **PUBLISHED:** 10 September 2025 **DOI: 1**0.32996/ijalls.2025.7.1.17

Abstract
The research analyses the phenomenon of semantic change in the Arabic language, highlighting that words are not fixed in meaning but rather their connotations change over time. The study divides the manifestations of this evolution into three main types: semantic specialization, semantic generalization, and semantic transfer. Semantic Specialization: This occurs when the meaning of a word narrows from a general sense to a specific one. Examples include the word "al-baha'im" (livestock), which was once used for all animals but later became specialized to refer to cows, and the word "al-salat" (prayer), which shifted its meaning from "supplication" to the well-known religious ritual after the advent of Islam. Semantic Generalization: This is the opposite, where a word's meaning broadens from a specific sense to a general one. An example is the word "al-ward" (rose), which now refers to all flowers after originally denoting a specific type. The article notes that this phenomenon often occurs due to metaphor and simile. Semantic Transfer: This involves moving a word from its original domain to another, either due to a relationship of similarity (metaphor), such as using the word "ayn" (eye) to refer to the eye of a needle, or due to other relationships (metonymy), like using the word "al-shitaa" (winter) to denote the rain that falls during it. The research emphasizes that ancient Arab linguists were fully aware of these phenomena and linked them to social, cultural, and religious factors, confirming that semantic evolution is not a modern phenomenon but an inherent part of the nature and flexibility of the Arabic language. The researcher used the descriptive analytical method in preparing this study.
Keywords: Transformations, Language, Semantics, Manifestations, Evolution, Mechanisms

1. المقدمة

تُعدّ اللغة كائنًا حيًا يتجدد ويتغير بمرور الزمن، ولا تقتصر هذه الديناميكية على البنية الصوتية أو النحوية فحسب، بل تمتد لتشمل المعاني والدلالات التي تحملها الألفاظ. إن تطور الدلالة في اللغة العربية ظاهرة قديمة قدم اللغة نفسها، وقد شهدت الكلمات تحولات جذرية في مدلولاتها، مما يعكس التغيرات الاجتماعية والثقافية التي مرّ بها المجتمع العربي. هذه التحولات الدلالية لم تكن عشوائية، بل خضعت لمظاهر وأنماط محددة، كان قد تنبّه إليها علماء اللغة الأوائل والمحدثون على حد سواء، وأسهبوا في دراستها وتوثيقها. وتتجلى أهمية دراسة هذا الموضوع في فهم عمق اللغة العربية ومرونتها، وكيف تتكيف مع متطلبات العصور المختلفة، سواء كان ذلك بتضييق المعنى، أو توسيعه، أو نقله إلى مجالات جديدة.

يتناول البحث مظاهر التطور الدلالي في اللغة العربية، مستعرضًا ثلاثة مظاهر رئيسة: تخصيص الدلالة، وتعميم الدلالة، وانتقال الدلالة. كما يبين البحث أن هذه الظواهر لاحظها اللغويون العرب القدامى والمحدثون.

2. مشكلة البحث

يُعدّ التطور الدلالي ظاهرة لغوية أصيلة، إلا أن طبيعته وآلياته في اللغة العربية لا تزال تحتاج إلى دراسة منهجية معمقة، خاصة في ظل التراكم المعرفي الحديث. وتتركز مشكلة البحث في الكشف عن المظاهر الرئيسة التي يتجلى فيها هذا التطور، مع إبراز كيفية تناول اللغويين العرب القدامى لهذه الظواهر مقارنة بآراء اللغويين المحدثين، ومدى ترابط هذه المظاهر مع العوامل الاجتماعية والثقافية والنفسية. ويهدف البحث إلى الإجابة عن التساؤل: ما هي أبرز أنماط التطور الدلالي في اللغة العربية، وكيف أدركها اللغويون عبر العصور، وما هي العوامل التي أسهمت في هذا التطور؟

3. أسئلة البحث

ما هي المظاهر الرئيسة للتطور الدلالي في اللغة العربية؟

كيف يتجلى تخصيص الدلالة وتعميمها في الألفاظ العربية؟ وما هي الأمثلة البارزة على ذلك؟

ما هي آليات انتقال الدلالة من مجال إلى آخر، وهل تقتصر على علاقة المشابهة فقط؟

كيف تعامل اللغويون العرب القدامى مع ظاهرة التطور الدلالي؟ وما مدى توافق آرائهم مع ما توصل إليه علم اللغة الحديث؟

ما هو أثر العوامل الاجتماعية والثقافية والدينية في تطور دلالات الألفاظ العربية؟

4. أهداف البحث

تحديد المظاهر الرئيسة للتطور الدلالي في اللغة العربية، وهي: تخصيص الدلالة، تعميم الدلالة، وانتقال الدلالة.

شرح كل مظهر من هذه المظاهر، وتقديم أمثلة توضيحية من الفصحى ولهجات الخطاب المعاصرة.

مقارنة آراء اللغويين العرب القدامى، مثل ابن فارس وابن جني والسيوطي، مع آراء علماء اللغة المحدثين حول هذه الظواهر.

تحليل دور العوامل الخارجية، مثل التحولات الاجتماعية والظواهر الدينية، في إحداث التطور الدلالي.

تأكيد أن التطور الدلالي ليس ظاهرة حديثة، بل هو جزء أصيل من تاريخ اللغة العربية.

أهمية البحث

أهمية هذا البحث تكمن في أنه يقدم نظرة معمقة ومنهجية لظاهرة التطور الدلالي في اللغة العربية، مُبرهناً على أن اللغة ليست كياناً جامداً بل نظاماً حياً يتأقلم مع متغيرات العصر.

أولاً: تصنيف واضح لمظاهر التطور: يُصنف المقال التطور الدلالي في ثلاثة مظاهر رئيسية، مما يسهل فهمه وتصوره:

يوضح كيف أن المعنى العام للكلمة قد يتقلص ليصبح أكثر تحديدًا، مما يعكس حاجة المتكلمين للدقة. الأمثلة على ذلك، مثل تحول كلمة "البهائم" من دلالتها العامة إلى دلالتها الخاصة بالبقر في بعض السياقات الريفية، تُظهر بوضوح كيف يتأثر المعنى بالبيئة الاجتماعية.

يُبين المقال العملية العكسية، حيث يتسع معنى الكلمة من خاص إلى عام.

انتقال الدلالة: يُعد هذا المظهر الأكثر تعقيدًا، حيث ينتقل معنى الكلمة إلى مجال آخر بالكامل. ويُقسم البحث هذا الانتقال إلى:

الاستعارة: الانتقال القائم على المشابهة.

المجاز المرسل: الانتقال القائم على علاقات أخرى غير المشابهة، مثل السببية أو المكانية.

ثانياً: الربط بين القديم والحديث: يُبرز البحث أن هذه الظواهر ليست حكرًا على العصر الحديث، بل كانت معروفة لدى اللغويين العرب الأوائل مثل ابن فارس وابن دريد والسيوطي، الذين تحدثوا عنها في كتبهم. هذا الربط يؤكد أصالة الدراسة اللغوية العربية وعمق فهمها لظواهر اللغة.

ثالثاً: تفسير أسباب التطور: يُقدم البحث تفسيرات منطقية لأسباب التطور الدلالي، مثل التطور الاجتماعي والثقافي، والحاجة إلى التعبير عن مفاهيم جديدة، أو حتى مجرد ميل المتكلمين إلى التبسيط. كما يُشير إلى أن التطور من الدلالة الحسية إلى المجردة هو نتيجة طبيعية لتطور العقل البشري.

البحث يمثل مرجعاً مهماً لكل من يهتم باللغة العربية، حيث يُحلل آليات تطورها بشكل علمي ومنهجي، ويُثبت أن هذه اللغة قادرة على التجدد والتكيف مع متطلبات العصر.

5. منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث سيتم وصف ظاهرة التطور الدلالي من خلال استقراء وتحليل النصوص والأمثلة المذكورة في المقال. ويقوم المنهج على الخطوات التالية:

الاستقراء: تتبع الأمثلة والشواهد اللغوية التي توضح كل مظهر من مظاهر التطور الدلالي.

التحليل: تفكيك كل ظاهرة (تخصيص، تعميم، انتقال) ودراسة آلياتها وعلاقاتها السببية.

المقارنة: عقد مقارنة بين وجهات نظر اللغويين العرب القدامى واللغويين المحدثين حول هذه الظواهر.

الربط: ربط التطور الدلالي بالعوامل اللغوية وغير اللغوية التي تسهم فيه، مثل التطور الاجتماعي والثقافي.

6. الدراسات السابقة

يستند هذا البحث إلى مجموعة من الدراسات اللغوية التي تناولت التطور الدلالي في اللغة العربية، أبرزها:

كتاب (الصاحبي في فقه اللغة) لابن فارس، و(الخصائص) لابن جني، و(المزهر في علوم اللغة وأنواعها) للسيوطي، حيث أشاروا إلى هذه الظواهر بشكل مباشر أو ضمني، مما يدل على وعيهم المبكر بها.

كتاب (فقه اللغة وسر العربية) للثعالبي، حيث تناول موضوعات تتعلق بتوسع المعاني وتضييقها.

كتاب (فقه اللغة) للدكتور إبراهيم أنيس، الذي خصص فصولًا لدراسة التطور الدلالي ومظاهره، معتمداً على المنهج اللغوي الحديث.

كتاب (مناهج البحث في اللغة) للدكتور علي عبد الواحد وافي، الذي استعرض فيه التطور الدلالي كأحد مجالات علم الدلالة.

دراسات المستشرقين واللغويين الغربيين مثل (ج. فندريس) و(ستيفن أولمان) التي ساهمت في وضع إطار نظري لتصنيف مظاهر التطور الدلالي، والتي أشار إليها المقال (أولمان، 1975).
هذه الدراسات تشكل قاعدة معرفية أساسية يعتمد عليها البحث في تحليل الظواهر الدلالية، واستخلاص النتائج.

7. تحولات الدلالة في اللغة ومظاهرها

تتطور دلالات الكلمات وتتغير من عصر لآخر نتيجة لعوامل مختلفة. لقد حصر علماء اللغة المعاصرون هذه التغيرات الدلالية في ثلاثة مظاهر رئيسية تنطبق على جميع اللغات:
تخصيص الدلالة: عندما يكون المعنى القديم للكلمة أوسع من المعنى الجديد.
تعميم الدلالة: عندما يكون المعنى القديم أضيق من المعنى الجديد.
انتقال الدلالة: عندما يتعادل المعنيان من حيث العموم والخصوص.
لاحظ اللغوي (ج. فندريس) هذه الأنواع الثلاثة، وأشار إلى أن التغييرات الدلالية تعود إلى التضييق (من عام إلى خاص)، أو الاتساع (من خاص إلى عام)، أو الانتقال (بين معنيين متساويين في العموم والخصوص). وقد أدرك علماء اللغة الأوائل هذه المظاهر الثلاثة وأفردوا لها بالبحث والأمثلة الكثيرة (فندريس، 1950).

8. أولًا: تخصيص الدلالة (تضييق المعنى)

يُقصد بهذا المظهر من التطور الدلالي أن تقتصر دلالة الكلمة العامة على بعض ما كانت تدل عليه في الأصل، مما يجعل مدلولها محصورًا في عدد أقل من الأشياء.
هذه الظاهرة ناتجة عن ميل الناس إلى استخدام دلالات خاصة لتسهيل التواصل، معتمدين على قدرة المستمع على فهم المقصود من السياق.
أمثلة من التخصيص في اللغة:
البهائم: رغم أنها كلمة عامة تدل على جميع الحيوانات، فإنها في الاستعمال اليومي قد تُخصّص للدلالة على البقر أو الأغنام أو الخيل، حسب بيئة المتكلم (ريف، راعٍ، حوذِي).
العيال: في الأصل كانت تدل على كل ما يُعال في الأسرة، ثم تخصصت لتشير إلى الزوجة، وفي العصر الحديث أخذت تتخصص أكثر لتدل على الأولاد(شوك،2002).
الطهارة: في اللهجات المعاصرة، أصبحت تعني بشكل خاص الختان.
الحريم: تخصصت لتدل على النساء، بعد أن كان معناها الأصلي "كل ما يُحرم مسه."
حرامي: كانت تعني في الأصل "المنسوب إلى الحرام"، ثم تخصصت لتدل على اللص.
الصحابة: كان معناها الأصلي "الصحبة" بشكل عام، ثم خصصت بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
التوبة: كان معناها اللغوي "الرجوع"، ثم خصصت بالرجوع عن الذنب.
الفاكهة: كانت تدل على جميع الثمار، ثم خصصت لتدل على أنواع معينة منها.
السبت: كان معناه في اللغة "الدهر"، ثم خصص ليدل على أحد أيام الأسبوع.
رث: كان معناه "خسيس كل شيء"، ثم تخصص أكثر للاستعمال في الأشياء التي تُلبس أو تُفرش (مطر، 1985).
تفسير هذه الظاهرة:
يفسر علم اللغة الحديث سبب تخصيص الدلالة بأنه نتيجة إضافة بعض الملامح التمييزية للفظ، فكلما زادت هذه الملامح، قل عدد أفراد المدلول.
وقد تنبه اللغويون العرب القدامى لهذه الظاهرة، وربطوها بالتطور الاجتماعي والثقافي.
يقول أحمد بن فارس إن مجيء الإسلام أدى إلى نقل معاني ألفاظ مثل الصلاة والصيام والحج والزكاة من معانيها اللغوية العامة في الجاهلية (الدعاء، الإمساك، القصد، النماء) إلى معانٍ شرعية محددة ومفصلة.
أشار السيوطي إلى هذا المظهر في كتابه "المزهر"، مستشهدًا بكلمة السبت كدليل على تخصيص اللغة نفسها، وليس الشرع فقط (السيوطي، 1958).

ثانياً: تعميم الدلالة (توسيع المعنى)

يُعرف هذا المظهر من التطور الدلالي بأنه انتقال معنى الكلمة من دلالة خاصة إلى دلالة عامة وشاملة. ونتيجة لذلك، يصبح معنى الكلمة قابلاً للتطبيق على نطاق أوسع، ويزيد عدد الأشياء التي تشير إليها. هذه الظاهرة تشبه طريقة تفكير الأطفال الذين قد يطلقون اسم نهر معين على جميع الأنهار. يعكس هذا الميل الطبيعي للناس نحو استخدام الألفاظ بأقل قدر ممكن من الدقة لتبسيط عملية التخاطب.
أمثلة على تعميم الدلالة من التراث اللغوي:
لقد تناول اللغويون القدامى هذه الظاهرة بالتفصيل، وأوردوا أمثلة كثيرة عليها، حيث عقد ابن دريد في كتابه "جمهرة اللغة" بابًا خاصًا لـ "باب الاستعارات" يوضح فيه هذا التوسع الدلالي. ومن أبرز الأمثلة:
النُجْعَة: كان أصلها طلب الغيث، ثم أصبحت تعني أي طلب بشكل عام.
الوغى: كان معناها الأصلي "اختلاط الأصوات في الحرب"، ثم صارت كلمة "وغى" نفسها تطلق على الحرب.
الورد: كان معناه الأصلي "إتيان الماء"، ثم أصبح يعني إتيان أي شيء.
الرائد: كان معناه "طالب الكلأ"، ثم أصبح يطلق على كل طالب حاجة.
الظَّمأ: كان معناه "العطش وشهوة الماء"، ثم عُمم حتى قيل "ظمئت إلى لقائك."
المجد: كان معناه "امتلاء بطن الدابة من العلف"، ثم أصبح يطلق على الامتلاء من الكرم.
الصبر: كان معناه "الحبس"، ثم قيل "قُتل فلان صبراً" أي حبس حتى قُتل.
البأس: كان معناه "الحرب"، ثم عُمم ليعني "الشدة" بشكل عام (رمضان،1983).
كما أشار ابن فارس في كتابه "الصاحبي" إلى هذه الظاهرة، مستشهداً بأقوال الأصمعي في أصول الكلمات التي قيس عليها غيرها. ومن الأمثلة التي ذكرها:
الوِرْد: كان أصله إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شيء.
القَرَب: كان معناه "طلب الماء"، ثم صار يقال لكل طلب.
رفع عقيرته: كان أصله أن رجلاً عقرت رجله فرفعها وصاح، ثم أصبح يطلق على كل من رفع صوته.
تفسير وآلية التعميم الدلالي:

تنتج ظاهرة التعميم عن إسقاط بعض الملامح التمييزية للفظ، مما يسمح له بتغطية نطاق أوسع. يرى الباحثون أن التشبيه والمجاز المرسل هما السببان الرئيسيان لنشوء هذه الظاهرة، حيث تكون العلاقة بين المعنى القديم والجديد غالبًا إما علاقة مشابهة أو مجاورة أو إحدى علاقات المجاز الأخرى. من هذا التعميم الناتج عن التشبيه يأتي تحويل الأعلام إلى صفات، مثل:

حاتم: يُقال للكريم.

عرقوب: يُقال لمن يُعرف بإخلاف الوعود (الصاحبي،1977).

على الرغم من أن تعميم الدلالات أقل شيوعًا من التخصيص، إلا أنه يلعب دورًا مهمًا في تطور اللغة ومرونتها.

ثالثاً: انتقال الدلالة (تغيير مجال الاستعمال)

يُعدّ انتقال الدلالة مظهرًا حيويًا من مظاهر التطور اللغوي، حيث ينتقل اللفظ من مجال استعماله المألوف إلى مجال آخر. يشمل هذا المظهر نوعين رئيسيين من التطور الدلالي: الاستعارة والمجاز المرسل.

أولاً: انتقال الدلالة لعلاقة المشابهة (الاستعارة)

يحدث هذا النوع من الانتقال عندما يُستخدم اللفظ في سياق جديد بسبب وجود علاقة مشابهة بين معناه الأصلي ومعناه الجديد. تُعتبر الاستعارة تشبيهًا حُذفت منه أداة التشبيه وأحد طرفيه.

أمثلة شائعة من الحياة اليومية:

أجزاء جسم الإنسان والحيوان والنبات: تُستخدم أسماء أجزاء الجسم والحيوان والنبات بشكل واسع للتعبير عن أشياء أخرى مشابهة لها في الشكل أو الوظيفة، مثل: "عين الإبرة"، "رجل الكرسي"، "جناح الطائرة"، "شجرة النسب"، و"ثمرة البحث."

التشابه في الشعور والإحساس: يمكن أن يكون الانتقال مبنيًا على تشابه في الإحساس، مثل قول: "تحية عاطرة"، "استقبال بارد"، و"لون دافئ."

الانتقال من الحسي إلى المجرد: تُعد الاستعارة وسيلة شائعة لنقل الكلمات ذات المعاني المادية المحسوسة إلى معانٍ مجردة، كما في قول: "جسَّم المشكلة"، "عَقَّدَ المسألة"، و"رَكَّزَ الفكرة."

وقد أقر اللغويون العرب القدامى بأهمية الاستعارة، واعتبروها من "سنن العرب" في كلامهم، كما ذكر ابن قتيبة وابن فارس. ووصفها عبد القاهر الجرجاني بأنها "نقل غير لازم" للفظ من موضعه الأصلي (الزركشي،1957).

ثانياً: انتقال الدلالة لغير علاقة المشابهة (المجاز المرسل)

يحدث هذا الانتقال عندما تكون العلاقة بين المعنيين القديم والجديد مختلفة عن المشابهة، ولهذا سُمّي "مرسلاً" لأنه أُطلق من قيد المشابهة. يرى اللغويون أن هذا المظهر يختلف عن التخصيص والتعميم من حيث أن المعنى القديم والجديد للكلمة يكونان متساويين. غالبًا ما يتم نقل المعنى في هذا النوع بدافع الحاجة إلى التعبير عن تجارب جديدة.

أمثلة من المجاز المرسل:

العلاقة المكانية: كلمة "مكتب" التي كانت تعني قطعة قماش، تطورت لتدل على المكان الذي تُدار منه الأعمال، لأن قطعة القماش كانت توضع على الطاولة في ذلك المكان.

العلاقة الزمانية: إطلاق اسم "الشتاء" على المطر، لأن المطر ينزل في هذا الفصل.

العلاقة الحالية والمحلية: قول: "واسأل القرية"، والمقصود أهل القرية.

العلاقة السببية: قوله تعالى: (قد أنزلنا عليكم لباسًا)، والمقصود المطر الذي هو سبب اللباس.

العلاقة الجزئية والكلية: إطلاق اسم "الوجه" على الذات في قوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) (أنيس،1976).

العلاقة المجاورة: استخدام كلمة "الشنب" التي تعني "جمال الثغر" للدلالة على "الشارب" في بعض اللهجات الحديثة.

الانتقال بين الدلالة الحسية والمجردة

يُعتبر هذا الانتقال جزءًا من المجاز المرسل، ويُظهر رقي العقل الإنساني في قدرته على التجريد.

من الحسي إلى المجرد: معظم الدلالات تبدأ حسية ثم تتطور لتصبح مجردة.

"الشرف": كان معناه الأصلي "المرتفع من الأرض"، ثم أصبح يدل على علو المنزلة.

"غفر": كان أصله "الستر والتغطية"، ثم أصبح يدل على "الصفح عن الذنوب."

"نبط": كان معناه "استخراج الماء من البئر"، ثم أصبح يدل على "استنباط الآراء العلمية."

"نافق": كان معناه "حفر النفق"، ثم أصبح يدل على "إخفاء الكفر وإظهار الإيمان."

من المجرد إلى الحسي: يحدث هذا غالبًا في الأدب والشعر بهدف توضيح الصورة الذهنية وإثارة العاطفة، مثل الكناية عن "الكرم" بـ"كثرة الرماد"(الزبيدي، 1965).

يُنظر إلى المجاز المرسل والاستعارة على أنهما آليات رئيسية في التطور الدلالي، حيث توفر اللغة أدوات تسمح لها بالتعبير عن مفاهيم جديدة باستخدام مخزونها اللغوي المألوف.

ومن هنا تتبين أهمية المجاز المرسل كأحد أبرز مظاهر انتقال الدلالة في اللغة، حيث يهتم به اللغويون القدامى والمحدثون على حد سواء.

المجاز المرسل: مفهومه وعلاقاته

يُعرف المجاز المرسل بأنه استخدام كلمة في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة. هذه العلاقة هي ما يميزه عن الاستعارة، وقد أشار إليه العلماء الأوائل مثل ابن جني كواحد من أسباب العدول عن الحقيقة، بهدف تحقيق الاتساع في التعبير.

وقد اهتم البلاغيون القدامى بهذا النوع من المجاز ووضعوا له أقسامًا متعددة بناءً على العلاقات بين المعنى القديم والجديد. من أبرز هذه العلاقات:

السببية والمسببية:

السببية: إطلاق اسم السبب على المسبب. مثال: قوله تعالى: (قد أنزلنا عليكم لباسًا) [الأعراف: 26]، حيث أُطلق على المطر اسم "لباس" لأنه سببه.

المسببية: إطلاق اسم المسبب على السبب. مثال: انتقال دلالة "الوغى" من "اختلاط الأصوات" إلى "الحرب نفسها"، لأن الحرب هي المسبب لاختلاط الأصوات (الأصفهاني، 1970).

الكلية والجزئية:

الكلية: إطلاق اسم الكل على الجزء. مثال: قوله تعالى: (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) [المائدة: 6]، حيث أُطلقت كلمة "يد" (التي تعني إلى المنكب) على الجزء المراد وهو "إلى المرفق."

الجزئية: إطلاق اسم الجزء على الكل. مثال: قوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) [القصص: 88]، حيث أطلق "وجهه" (وهو جزء) على "ذاته" (وهو الكل) (الجرجاني، 1996).
الحالية والمحلية:
المحلية: إطلاق اسم المحل على الحالّ فيه. مثال: قوله تعالى: (واسأل القرية) [يوسف: 82]، والمقصود أهلها.
الحالية: إطلاق اسم الحالّ على المحل. مثال: انتقال دلالة "الظعينة" من "المرأة في الهودج" إلى الهودج نفسه أو البعير.
الآلية: إطلاق اسم الآلة على ما يُنتج بها. مثال: قوله تعالى: (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) [الشعراء: 84]، أي ذكرًا حسنًا، لأن اللسان هو آلة الذكر.
المجاورة: إطلاق اسم شيء على ما يجاوره. مثال: في اللهجات المعاصرة، يطلق اسم "الشنب" (جمال الثغر) على "الشارب" لقربهما من بعض (الطبري، 2010).
اعتبار ما كان وما يكون:
اعتبار ما كان: استخدام كلمة تدل على أصل الشيء. مثال: "شربت من البن اليمني"، والمقصود القهوة المصنوعة من البن.
اعتبار ما يكون: استخدام كلمة تدل على ما سيكون عليه الشيء.
الانتقال بين الدلالة الحسية والمجردة
يُعد هذا الانتقال مظهرًا آخر من مظاهر التطور الدلالي المتصلة بالمجاز المرسل.
من الحسي إلى المجرد: يُعتبر هذا الاتجاه هو الغالب في تطور الدلالات.
الشرف: كان معناه الأصلي "المرتفع من الأرض"، ثم أصبح يدل على "علو المنزلة" (معنى مجرد).
غفر: كان معناه الحسي "الستر والتغطية"، ثم أصبح في الإسلام يدل على "الصفح عن الذنوب" (معنى معنوي).
نبط: كان معناه الحسي "استخراج الماء من البئر"، ثم أصبح يدل على "استنباط الأفكار" (معنى مجرد).
من المجرد إلى الحسي: يحدث هذا غالبًا في السياقات الأدبية والبلاغية بهدف جعل الأفكار المجردة ملموسة. مثال: الكناية عن "الكرم" بـ"كثرة الرماد" (عمر، 1982).
يؤكد هذا التنوع في العلاقات المجازية أن المجاز المرسل هو آلية أساسية لتطور اللغة، مما يمنحها القدرة على التعبير عن مفاهيم جديدة باستخدام مفردات مألوفة، وهي مرونة أقر بها علماء اللغة القدامى والمحدثون.
انتقال الدلالة من الحسي إلى المجرد والعكس
يُعدّ انتقال الدلالة بين المجالين الحسي والمجرد أحد أبرز مظاهر التطور اللغوي، حيث يعكس تطور العقل البشري وقدرته على التجريد.
1 .الانتقال من الدلالة الحسية إلى الدلالة المجردة:
يتفق الباحثون على أن الدلالات بدأت بالمحسوسات ثم تطورت تدريجيًا إلى معانٍ مجردة مع ارتقاء الفكر الإنساني. هذا النوع من النقل ليس مجازًا بلاغيًا يهدف إلى الإثارة، بل هو مرحلة تاريخية ضرورية لتعبير الأمم عن المفاهيم العقلية. غالبًا ما تتعايش الدلالتان، الحسية والمعنوية، في وقت واحد، دون أن تثير إحداهما دهشة.
على الرغم من أن بعض الباحثين قد يختلفون حول ما إذا كان هذا الانتقال حقيقة أو مجازًا، إلا أن الغالبية تؤكد أن الدلالة الحسية هي الأصل، وأن الدلالة المعنوية هي مجاز تطور عن هذا الأصل.
أمثلة من اللغة العربية:
الشرف: كان معناه الأصلي "المرتفع من الأرض"، ثم تطور ليدل على "علو المنزلة" (معنى مجرد).
لبق: كان يُستخدم لوصف "الخلط الشديد للطعام"، ثم تطور ليدل على "لين الأخلاق واللطف" (معنى مجرد).
ألفاظ إسلامية: بعد مجيء الإسلام، تطورت دلالات كلمات كانت تحمل معاني حسية:
غفر: من "الستر والتغطية" إلى "الصفح والتجاوز عن الذنوب" (لعيبي، 1980).
زكا: من "النمو والزيادة" إلى "تطهير النفس."
طبع: من "النقش والصدأ" إلى "الختم على القلب" و"الخليقة" (معنى مجرد).
نبط: من "استخراج الماء من البئر" إلى "استنباط الأفكار العلمية."
نافق: من "حفر النفق" إلى "إضمار الكفر وإظهار الإيمان" (المبارك، 1972).
2 .الانتقال من الدلالة المجردة إلى الدلالة الحسية:
يُعد هذا النوع من النقل أقل شيوعًا، ويُستخدم غالبًا في الأدب بهدف توضيح الصور الذهنية وجعل المعاني المجردة ملموسة. يبرع الأدباء والشعراء في هذا النوع من المجاز، الذي يسمى المجاز البلاغي، لأنه يهدف إلى الإثارة والإبداع.
أمثلة من الأدب العربي:
الكنايات الأدبية: الكناية عن الكرم بـ"كثرة الرماد"، وعن التذلل بـ"إراقة ماء الوجه."
تشخيص المعاني: حيث تتحول المشاعر والأفكار المجردة مثل "الحنان" و"الحقد" و"الأمل" إلى أشياء محسوسة نكاد نلمسها (القرطبي، 2006).
مظاهر أخرى للتغير الدلالي
بالإضافة إلى المظاهر الرئيسية التي تم ذكرها (التخصيص، التعميم، والانتقال)، هناك مظاهر أخرى للتطور الدلالي تتعلق بعوامل نفسية واجتماعية، مثل:
سمو الدلالة وانحطاطها: حيث تكتسب الكلمة دلالة أرقى أو أدنى من دلالتها الأصلية.
المحظور: استخدام كلمات بديلة للتعبير عن معانٍ يُعتبر ذكرها صريحًا محظورًا.
حسن التعبير: استخدام كلمات أكثر جمالًا أو تهذيبًا.
التحول نحو المعاني المضادة: استخدام الكلمة لتعبر عن عكس معناها الأصلي (كالمبالغة).
هذه المظاهر تُظهر عمق وحيوية اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن أدق المعاني والتغيرات في المجتمع.

9. المناقشة

يتناول هذا البحث ظاهرة التطور الدلالي في اللغة العربية، التي تعدّ جوهرًا حيويًا في فقه اللغة، مؤكدًا أن اللغة ليست مجرد أداة ثابتة للتواصل، بل هي كائن حي يتنفس ويتشكل بمرور الزمن. وقد كشفت الدراسة عن ثلاثة مظاهر رئيسة لهذا التطور: تخصيص الدلالة، وتعميم الدلالة، وانتقال الدلالة. لقد أظهرت المناقشة أن تخصيص الدلالة (أو تضييق المعنى) يعكس حاجة المتكلمين إلى دقة التعبير، حيث تتحول الألفاظ من معانٍ عامة إلى معانٍ خاصة. ومثال ذلك كلمة (البهائم) التي صارت تطلق على نوع محدد من الحيوانات كالبقر أو الأغنام حسب السياق، أو كلمة (الصحابة) التي خصصت بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد أدرك اللغويون القدامى هذه الظاهرة، كما يتضح من كلام أحمد بن فارس والسيوطي، حيث ربطوا بين التطور الاجتماعي والديني وبين التغير الدلالي، وهو ما يتوافق مع رؤية علم اللغة الحديث.

أما تعميم الدلالة (أو توسيع المعنى)، فهو المسار العكسي، حيث تتسع دلالة الكلمة لتشمل معاني أوسع. فكلمة (الورد) التي كانت تطلق على نوع محدد من الزهور، أصبحت تطلق على كل زهر. وكما لاحظ ابن دريد، فإن هذه الظاهرة غالبًا ما تكون ناتجة عن الاستعارة والمجاز، مثل استخدام كلمة (الرائد) التي كانت تعني طالب الكلأ، ثم عُممت على كل من يطلب حاجة. وهذا يدل على مرونة اللغة في التعبير عن المفاهيم الجديدة باستخدام ألفاظ موجودة. أما المظهر الأكثر تعقيدًا فهو انتقال الدلالة، حيث ينتقل اللفظ من مجال استعماله المألوف إلى مجال آخر مختلف، سواء كان ذلك لعلاقة المشابهة (الاستعارة)، أو لعلاقات أخرى (المجاز المرسل). وقد برهن البحث على أن هذا الانتقال ليس مجرد أداة بلاغية، بل هو آلية أساسية لتطور اللغة. وتعد أمثلة نقل دلالات أجزاء الجسم (كـ(عين الإبرة)) أو النبات (كـشجرة النسب) خير دليل على ذلك. كما أن انتقال الدلالة من المجال الحسي إلى المجرد (كـ(غفر)) يعدّ مؤشرًا على تطور الفكر الإنساني وتجريده للمفاهيم. لقد كان اللغويون الأوائل على وعي تام بهذه الظاهرة، وقد أفرد لها ابن جني وعبد القاهر الجرجاني وابن قتيبة مساحات واسعة في كتبهم، مما يؤكد أصالة هذه الظواهر في التراث اللغوي العربي.

10. النتائج

نستنتج من البحث عدة نتائج رئيسة:

نستنتج من البحث عدة نتائج رئيسة:

- التطور الدلالي ظاهرة أصيلة: لا تقتصر ظاهرة التطور الدلالي على اللغات الحديثة، بل هي جزء لا يتجزأ من تاريخ اللغة العربية، وقد أدركها اللغويون العرب القدامى بوعي لغوي عميق.
- المظاهر الرئيسة متفق عليها: تتفق الدراسات اللغوية القديمة والحديثة على أن التطور الدلالي يظهر في ثلاثة أشكال أساسية: التخصيص، والتعميم، والانتقال.
- الدلالة والمجتمع متلازمان: هناك علاقة وثيقة بين التغيرات الدلالية وبين التطورات الاجتماعية والدينية والثقافية. فوصول الإسلام كان له أثر كبير في تخصيص معاني ألفاظ مثل (الصلاة) و(الحج).
- التجريد كآلية للتطور: يميل تطور الدلالة في اللغة العربية إلى الانتقال من المعنى الحسي إلى المعنى المجرد، مما يعكس تطور الفكر البشري وقدرته على تجريد المفاهيم.
- المجاز كأداة للتطور الدلالي: لا يعدّ المجاز مجرد أداة بلاغية فقط، بل هو آلية أساسية لتطور الدلالة، سواء كان ذلك من خلال الاستعارة أو المجاز المرسل، حيث يساهم في نقل الألفاظ إلى مجالات جديدة لتلبية الحاجة إلى التعبير.

المصادر والمراجع

[1]. ابن دريد. (1351ه). جمهرة اللغة، طبع ونشر الهند
[2]. ابن قتيبة. (1966م). تأويل مشكل القرآن ، ط1، القاهرة – مصر.
[3]. ابن منظور. (1968م). لسان العرب، الناشر: دار صادر ـ بيروت – لبنان.
[4]. أبي عبيدة (معمر بن المثنى). (1954م). مجاز القرآن، ط1 - القاهرة ـ مصر.
[5]. الأصفهاني، الراغب. (1970م). المفردات في غريب القرآن ـ مكتبة الأنجلو، القاهرة ـ مصر.
[6]. أنيس، إبراهيم. (1976م). دلالة الألفاظ، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة – مصر.
[7]. أ ولمان، ستيفن. (1975م). دور الكلمة في اللغة، ترجمة: د. كمال بشر ـ القاهرة – مصر.
[8]. الجرجاني، عبد القاهر. (1996م). أسرار البلاغة، تحقيق: محمد رشيد رضا ـ ط 4، الناشر: دار المنار.
[9]. الداية، فايز. (1988م). علم الدلالة العربي ـ الجزائر.
[10]. الرازي، أبو حاتم. (1957م). الزينة في الكلمات الإسلامية، ط2، القاهرة ـ مصر.
[11]. رمضان. عبد التواب. (1983م). التطور اللغوي مظاهره وعللـه وقوانينه ـ القاهرة – مصر.
[12]. الزبيدي، أبو بكر. (1964م). لحن العوام، تحقيق: د. رمضان عبد التواب ـ القاهرة.
[13]. الزبيدي، محمد مرتضى. (1965م). تاج العروس من جواهر القاموس، الناشر: الكويت.
[14]. الزركشي، بدر الدين. (1957م). البرهان في علوم القرآن،ط1، الناشر: مكتبة الوهبة، القاهرة – مصر.
[15]. الزمخشري، جار الله. (1979م). أساس البلاغة ـ تحقيق: محمود بن عمر، الناشر: دار صادر، بيروت ـ لبنان.
[16]. السامرائي، مهدي. (1974م). المجاز في البلاغة العربية، ط1 ـ الناشر: دار الدعوة ـ حماة.
[17]. السيوطي، جلال الدين. (1958م). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، القاهرة ـ مصر.
[18]. شوك، محمد عادل. (2002م). علم البيان التطبيقي، ط2 ـ صنعاء ـ اليمن.
[19]. الصاحبي، أحمد بن فارس. (1977م). فقه اللغة، القاهرة – مصر.
[20]. الطبري. (2010م). جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري) ،تحقيق: محمود شاكر ـ الناشر: دار المعارف..
[21]. عمر، أحمد مختار. (1982م). علم الدلالة، ط1 – الناشر: دار العروبة ـ الكويت.
[22]. فندريس، جوزيف. (1950م). اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة.
[23]. القرطبي، محمد بن أحمد. (2006م).الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ط2 ـ بيروت ـ لبنان.
[24]. لعيبي، حاكم مالك. (1980م). الترادف في اللغة ـ ـ بغداد – العراق.
[25]. المبارك، محمد. (1972م). فقه اللغة وخصائص العربية ـ دار الفكر ـ بيروت.
[26]. مطر، عبد العزيز. (1985م). علم اللغة وفقه اللغة ـ قطر.